

وأقلام الكتاب وشياطين الشعراء ؟ وهل يعقل كذلك أن يصبر رجال الوثنية والنصارى واليهود على التهم المختلفة يلقيها النبي وأصحابه . . هل يعقل أن يمر ذلك كله من دون أن يكون لهؤلاء ألف خطبة ، وألف رسالة ، وألف قصيدة ؟ . . إن الحياة العقلية في عهد النبي لم تنتقل إلينا بصورتها الحقيقية ، ويرجع ضياع صورتها في رأيي إلى سببين : أولاً - ضياع آثار حزب المعارضة معقول ، لأنه انهزم ولم يعد في الإمكان تدوين الرسائل الجارحة ، والخطب المقذعة والرسائل اللذاعة التي هوجم بها النبي وأنصاره ، خصوصاً إذا لاحظنا أن الذين نقلوا آثار ذلك العصر كلهم من المسلمين . . ثانياً - ضياع آثار النبي وأصحابه معقول أيضاً . فقد شعر المسلمون بأن واقعة اليمامة أضاعت جمهور الحفاظ بحيث أصبح القرآن نفسه مهدداً بالضياع . . والواقع أن تسمية ذلك العصر الجاهلي تسمية صرفة ، فإن العرب لم يصفوا ذلك العصر بالجهل إلا فيما يختص بالمعتقدات الدينية . ولـ يمكنهم فيما يرجع إلى الأدب كانوا يرونه من أرقى المصور ، وكانوا يتأثرون شعراءه وخطباءه وحكماءه في كثير من أبواب القول» (١) .

أما النقطة الأولى التي مستها نزع المغلاة هنا لتوضع إلى جوار ما مر بنا من نقاط فهي التي نريد أن نقف الآن إزاءها ، وهي تلك الرسالة الجارحة التي دونها الوثنيون وغيرهم وتلك الرسالة اللذاعة التي كتبوها ، أو الألف من الرسائل يبحث عنها الباحث فلا يرى إلا أنها ضاعت لهذا السبب أو لغيره ، ولكن ضياعها لا يطعن في وجودها بل لا يقلل من عددها وضخامتها .

صحيح إن تسمية العصر الجاهلي تسمية دينية صرفة وإن كانت درجة التقدم الذي أحرزه العرب في ذلك العصر لا ينبغي المبالغة فيها كما قلنا .

---

(١) النثر الفنى - الجزء الأول - ص ٥٦ - ٥٩ .